

## محمود درويش

### قصيدتان\*

#### بطاقة هوية\*\*

سجّل! فهل تغضب؟

◆◆◆

سجّل!  
أنا عربي  
أنا إسم بلا لقب  
صبورٌ في بلاد كل ما فيها  
يعيشُ بفؤرة الغضبِ  
جذوري..

قبلَ ميلادِ الزمانِ رستُ  
وقبلَ تفتحِ الحُقبِ  
وقبلَ السُّروِ والزيتونِ  
.. وقبلَ ترعرعِ العُشبِ  
أبي... من أسرةِ المحراثِ  
لا من سادةِ نُجُبِ  
وجدي كانَ فلاحاً  
بلا حَسَبٍ.. ولا نَسَبِ!  
يُعَلِّمني شموخَ النفسِ قبلَ قراءةِ الكتبِ

أنا عربي  
ورقمُ بطاقتي خمسونَ ألفَ  
وأطفالي ثمانيةٌ  
وتاسعُهُم... سيأتي بعدَ صيفِ!  
فهلُ تغضبُ؟

◆◆◆

سجّل!  
أنا عربي  
وأعملُ مع رفاقِ الكدحِ في مَحَجَزِ  
وأطفالي ثمانيةٌ  
أسلُّ لهمُ رغيفَ الخبزِ،  
والأتوابَ والدفتنِ  
من الصخرِ  
ولا أتوسلُ الصدقاتِ من بابِكِ  
ولا أصغُرُ  
أمامَ بلاطِ أعتابِكِ

\* ننشر قصيدة درويش "بطاقة هوية" التي أثارَت زوبعة في إسرائيل في تموز / يوليو ٢٠١٦، من أجل إنعاش ذاكرة المقاومة، وقد كتبها الشاعر عندما كان في أوائل عشرينياته. كما ننشر إلى جانبها قصيدة "... عندما يبتعد" التي كتبها الشاعر في مرحلة نضجه، للتذكير بالنكبة الفلسطينية المستمرة منذ ٦٨ عاماً.  
\*\* من ديوان "أوراق الزيتون"، ١٩٦٤.



سجّل!  
أنا عربي  
سُلِبْتُ كرومَ أجدادي  
وأرضاً كنتُ أفلحُها  
أنا وجميعُ أولادي  
ولم تتركْ لنا.. ولكلِّ أحفادي  
سوى هذي الصخور..  
فهل ستأخذُها  
حكومتكم... كما قيلاً؟!  
إنّا!  
سجّل.. برأسِ الصفحةِ الأولى  
أنا لا أكرهُ الناسَ  
ولا أسطو على أحدٍ  
ولكنّي... إذا ما جُعْتُ  
أكلُ لحمَ مغتصبي  
حذار.. حذار.. من جوعي  
ومن غضبي!!

وبيتي، كوخُ ناطورٍ  
من الأعوادِ والقصبِ  
فهل تُرضيكِ منزلتي؟  
أنا إسمٌ بلا لَقَبِ!



سجّل!  
أنا عربي  
ولونُ الشعرِ.. فحمي  
ولونُ العينِ.. بني  
وميزاتي:  
على رأسي عقالٌ فوقَ كوفيّةِ  
وكفي صلبَةٌ كالصخرِ...  
تخمشُ من يلامسُها  
وعنواني:  
أنا من قريةٍ عزلاء... منسيّةِ  
شوارعها بلا أسماءِ  
وكلُّ رجالها... في الحقلِ والمَحْجَرِ  
فهل تغضبُ؟

### ... عندما يبتعد \*

يتركها فوق كرسِيٍّ جَدِي. ويأكلُ من خبزنا  
مثلما يفعلُ الضيفُ. يغفو قليلاً على  
مقعد الخَيْرَانِ. ويحنو على فَرَوِ  
قِطَّننا. ويقولُ لنا دائماً:  
لا تلوموا الضحيّة!  
نسألُه: مَنْ هي؟  
فيقولُ: دَمٌ لا يُجفِّفه الليلُ... |



... تلمعُ أزرارُ سُتْرَتِهِ عندما يبتعدُ

للعدوّ الذي يشربُ الشايَ في كوحننا  
فَرَسٌ في الدخانِ. وبنْتُ لها  
حاجبانِ كثيفانِ. عينانِ بُنيّتانِ. وسَعْرٌ  
طويلٌ كليلُ الأغاني على الكَتِفَيْنِ. وصورَتُها  
لا تفارقُه كُلمًا جاءنا يطلبُ الشايَ. لكنّه  
لا يُحدِّثنا عن مشاغلها في المساءِ، وَعَن  
فَرَسِ تَرَكَتْهُ الأغاني على قَمّةِ التلِّ... |



... في كوحننا يستريحُ العدوّ من البُنْدَقِيّةِ،

\* من ديوان "لماذا تركت الحصان وحيداً"، ١٩٩٥.

الذين أحرابهم...  
ثم يخرج من كوخنا الخشبي،  
ويمشي ثمانين متراً إلى  
بيتنا الحجري هناك على طرف السهل.../



سَلِّمْ على بيتنا يا غريب.  
فناجينُ

قهوتنا لا تزال على حالها. هل تَشْمُ  
أصابعنا فوقها؟ هل تقول لبيتك ذاتِ  
الجديلة والحاجبين الكتيفين إن لها  
صاحباً غائباً،  
يتمنى زيارتها، لا لشيء...  
ولكن ليدخل مرآتها ويرى سرّة:  
كيف كانت تُتابع من بعده عُمره  
بدلاً منه؟ سَلِّمْ عليها  
إذا اتَّسع الوقت... |



هذا الكلام الذي كان في وُدنا  
أن نقول له، كان يسمعه جيداً  
جيداً،  
ويُخبئهُ في سُعالٍ سريع،  
ويُلقي به جانباً، ثم تلمع  
أزرارُ سُرَّتِهِ عندما يبتعد... ■

عَمِ مساءً! وسَلِّمْ على بئرنا  
وعلى جِهَةِ التين. وامسِ الهويّتي على  
ظُلنا في حقول الشعير. وسَلِّمْ على سَرّونا  
في الأعلى. ولا تَنْسَ بوابَةَ البيت مفتوحةً  
في الليالي. ولا تَنْسَ حَوْفَ  
الحصان من الطائرات،  
وسَلِّمْ علينا، هُنَاكَ، إذا اتَّسع الوقت... |



هذا الكلام الذي كان في وُدنا  
أن نقول على الباب... يسمعه جيداً  
جيداً، ويُخبئهُ في السُّعال السريع  
ويُلقي به جانباً.  
فلماذا يزور الضحية كل مساءٍ؟  
ويحفظ أمثالنا مثلاً،  
ويعيدُ أناشيدنا ذاتها،  
عن مواعيدنا ذاتها في المكان المقدس؟  
لولا المسدسُ لاختلط الناي في الناي... |



... لن تنتهي الحرب ما دامت الأرضُ  
فيها تدورُ على نفسها!  
فلنكنُ طيّبين إذاً. كان يسألنا  
أن نكون هنا طيّبين. ويقراً شعراً  
لطيّار "بيئس": أنا لا أحبُّ الذين  
أدافع عنهم، كما أنني لا أعادي